قاصرات نازحات في مواجهة تحدّيات الحرب الإسرائيليّة على قطاع غزّة في أيّار/مايو 2021

تغريد السميري

مقدِّمة

منذ بداية الحصار الإسرائيليّ المفروض على قطاع غزّة عام 2007 حتّى اليوم، عاش ما يزيد على مليونَي فلسطينيّ أربع حروب مدمِّرة من حيث عدد الشهداء والخسائر الماديّة، كذلك عانوا من التصعيدات العسكريّة المتفرِّقة التي تحدث بين الاحتلال الإسرائيليّ والفصائل الفلسطينيّة بين الفينة والأخرى، ما يجعل سكّان القطاع يعيشون حالة طوارئ دائمة مترافقة مع الحصار المستمرّ والمفروض على حركة التنقُّل والاستيراد والتصدير. تكبَّد الفلسطينيّون في غزّة خسائر بشريّة كبيرة خلال الأعوام الأربعة عشر الماضية، فقد استشهد ما بين عامَي 2008 و2021 نحو 5297 فلسطينيًّا من بينهم 579 امرأة و259 فتاة[1]. وقد كانت الحرب الرابعة التي شنّها الاحتلال الإسرائيليّ على قطاع غزّة في 10 أيار/مايو 2021، والتي استمرّت لأحد عشر يومًا، هي الأشدّ منذ العام 2014. وكانت قد اندلعت شرارة هذه الحرب خلال شهر رمضان، وتحديدًا في 13 أبريل/نيسان 2021 في مدينة القدس المحتلّة، ثمّ

(1) Ocha, «Data on casualties», last visited on November 11.2021, Data on casualties | United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs-occupied Palestinian territory (ochaopt.org).

أخذت تتدحرج إلى الضفّة الغربيّة والمُدن العربيّة داخل الأراضي المحتلَّة عام 1948، ثمّ قطاع غزّة. وكانت المُواجهات قد بدأت بعد اعتداء قوّات الاحتلال الإسرائيليّ على عشرات الفلسطينيّين ومنعتهم من التواجد في ساحة «باب العَمود» في القدس المحتلّة، واشتدّت مع دعوة جماعات إسرائيليّة متطرّفة إلى «حرق العرب»، والتداعي لاقتحام واسع للمسجد الأقصى في 28 رمضان، كلّ ذلك بالتزامن مع التهديد بإخلاء أُسَرٍ فلسطينيّةٍ قسرًا من منازلها في حيّ الشيخ جرّاح[2]. ووفقًا لمفوّضيّة الأُمم المتّحدة السامية لحقوق الإنسان، استشهد في هذه الحرب 261 فلسطينيًّا من قطاع غزّة، من بينهم 67 طفلًا و41 امرأة، وأصيبَ أكثر من 2,200 فلسطينيّ بجروح، من بينهم 685 طفلًا و480 امرأة، وبعضهم قد يعاني من إعاقة طويلة الأمد تستدعي إعادة التأهيل[3].

في ذروة هذه الحرب الرابعة، التمس 113,000 فلسطينيٍّ المأوى والحماية في المَدارِس التّابعة لوكالة الأونروا أو لدى أُسَرٍ لاستضافتهم[4]. واللّافت أنّه حتّى شهر أيلول/سبتمبر 2021، كان لا يزال 8250 شخصًا مهجَّرًا يمكثون لدى أُسَرٍ تستضيفهم أو في شققٍ مُستأجرة في غزّة[5]. فلقد تسبَّبت القيود المفروضة على استيراد موادّ البناء ونقص التمويل في تأخير عمليّة إعادة البناء ما زاد من أمد التهجير.

لم يكُن عامل الأمان هو العامل الوحيد الذي اختار على أساسه الغزيّون المكان الذي ينزحون إليه، فلقد واجهوا جميعًا تحدِّيات عدّة أبرزها العامل المادِّي؛ فمعدَّلات الفقر في قطاع غزّة هي الأعلى في الأراضي الفلسطينيّة، حيث بلغت نسبة الفقر في القطاع قبل اندلاع الحرب الأخيرة 75% بحسب جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني، ما يعني أنّ كثيرًا من العائلات نزحت إلى المَدارِس أو لدى أُسَرٍ مُستضيفة، بسبب عدم مقدرتها

(2) عوض رجوب، «عدوان إسرائيل 2021 على غزّة.. تسلسل زمني»، **وكالة الأناضول**، متاح على: عدوان إسرائيل 2021 على غزّة.. تسلسل زمني (aa.com.tr).

(3) نشرة الشؤون الإنسانيّة | تشرين الثاني/نوفمبر 2021 ـ «غزّة بعد تصعيد أيّار/مايو»، **أوتشا**، متاح على: نظرة عامّة | تشرين الثاني/نوفمبر 2021 | مكتب الأُمم المتّحدة لتنسيق الشؤون الإنسانيّة ـ الأراضي الفلسطينيّة المحتلَّة (ochaopt.org).

(4) المرجع نفسه.

(5) «الاستجابة لحالة التصعيد في الأرض الفلسطينيّة المحتلّة»، **أوتشا**، متاح على: الاستجابة لحالة التصعيد في الأرض الفلسطينيّة المحتلّة | تقرير الحالة) العاشر (أيلول/سبتمبر 2021) | مكتب الأُمم المتّحدة لتنسيق الشؤون الإنسانيّة ـ الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة (ochaopt.org).

على استئجار شققٍ سكنيّة. أيضًا يقوم العامل الأمني بدورٍ في اختيار مكان النزوح، إذ ترفض بعض العائلات تأجير منازلها لبعض الغزيّين خوفًا من أن تكون عائلاتهم مرتبطة بالفصائل، ما يُمكن أن يُعرِّض بقيّة السكّان لخطر الاستهداف. كما يعطي الغزيّون معنًى اجتماعيّا لمكان النزوح خصوصًا لأماكن مثل مَدارِس الأونروا، ويأخذون بالاعتبار قدرة الأُسر المستضيفة على فصل النساء عن الرجال في منازلهم. كلّ هذه الاعتبارات المعقَّدة تتشابك معًا في أثناء اتِّخاذ القرار بالنزوح، وتلقي بظلالها على الفئات الأكثر هشاشة في العائلة (النساء والفتيات)، وتضعها أمام تحدِّيات صعبة ومعايير اجتماعيّة صارمة ينتجها التمييز الجندري والطبقي، خصوصًا أنّ التحدّيات المختلفة لدى النساء والرجال، الفتيان والفتيات تظهر تحديدًا في أثناء الحروب والنزوح[6]، كما أنّ النِّزاعات المسلَّحة تُسبِّب في تعميق عدم المساواة بين المجموعات العرقيّة، وفي مضاعفة التمييز ضدّ المجموعات المهمَّشة[7].

إنّ أكثر فئة عايشت فترة الحصار والحروب في قطاع غزّة هي فئة المُراهقين والمُراهقات الذين يشكِّلون نسبة 41.3% من سكّان القطاع، أي أنّ أغلبهم ولدوا في فترة الحصار وعايشوا الحروب الأربع التي كان من أبرز مَعالمها النزوح البشري من المناطق الشرقيّة للقطاع إلى المَدارِس التّابعة لوكالة الغوث وتشغيل اللّاجئين، أو إلى عائلات مستضيفة أو إلى بيوت مستأجرة. كما كانت للمُراهقات الإناث مُعاناةٌ على نحو خاصّ، نظرًا إلى خصوصيّة وضعهنَّ في المُجتمع الغزّي المُحافظ. هؤلاء المُراهقات اختبرنَ ظروفًا قاسية وغير مألوفة حتّى بالنسبة إلى الفئات العمريّة الأخرى، لذا ستُركِّز هذه الورقة على تحدِّيات المُراهقات في أماكن النزوح خلال الحرب التي شنّتها الحكومة الإسرائيليّة في مايو/أيّار من العام 2021 على قطاع غزّة واستمرّت لمدّة 11 يومًا. ومن أبرز الأسباب التي جعلت الغوص في هذا البحث مغريًا، هي فرادة الشرط الفلسطيني، فإن الفتيات اللّواتي في عمر المراهقة الآن، قد اضطررنَ على الأقلِّ لمعايشة ثلاث أو أربع حروب تتالت على قطاع غّزة[8] (عام

(6) McKay, S., «The effects of armed conflict on girls and women», *Peace and Conflict*, *4*(4), (1998): 381-392.

(7) Kudakwashe, M. A., & Richard, B., «Causes of armed conflicts and their effects on women», *International Journal of Research* (2015): 77.

(8) علا عطا الله، «3 حروب إسرائيليّة على غزّة (إنفوجرافيك)»، **وكالة الأناضول**، متاح على: 3 حروب إسرائيليّة على غزّة (انفوجرافيك) (aa.com.tr).

2008 ـ حرب عام 2012 ـ حرب عام 2014)[9] والحرب الأخيرة عام 2021. لجأت معظم الأسر في قطاع غزّة إلى ثلاث وجهات رئيسة: أوّلًا: إلى مَدارِس الأونروا، ثانيًا: إلى بيوت العائلات المستضيفة، وثالثًا إلى شقق مستأجرة لمَن يملك القدرة الماديّة لذلك. لم تكُن تجربة النزوح سهلة خصوصًا على الإناث وتحديدًا المُراهقات. لم يكن تتالي الحروب على قطاع غزّة السبب الوحيد الذي دفع لطرح الأسئلة البحثيّة حول تحدِّيات المُراهقات، بل إنّ سلطة الذكور الكبيرة على الإناث في مُجتمع محافظ، شكَّلت دافعًا إضافيًا لمعرفة التحدِّيات التي قد تتفاقم في أثناء الحروب أمام المُراهقات خصوصًا أنّ الأدوار المسندة وفق الجندر والسلطة المفروضة من قبل ذكور العائلة قد تشهد تغييرات وتبدّلات في أثناء فترة النزوح. كما أنّ العامل الديموغرافي الفريد للتركيبة السكّانيّة في قطاع غزّة كان دافعًا للبحث في التحدِّيات التي واجهت المُراهقات في غزّة، إذ أكّد جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني في تقرير له أنّ مجموع سكّان قطاع غزّة بلغ 2.11 مليون نسمة في منتصف عام 2021، منهم 1.07 مليون ذكر و1.04 مليون أنثى، وقدّرت نسبة الأفراد في الفئة العمريّة (0 ـ 14 سنة) في العام نفسه بـ 41%[10].

إنّ تبدّل الأدوار الجندريّة في مُجتمع فتيّ ومحاصر خلال فترات متقاربة، بسبب تتالي الحروب على قطاع غزّة بالإضافة إلى إضفاء طابع ومفهوم اجتماعيّ على مكان النزوح،

(9) المصدر نفسه: بدأت الحرب الأولى في 27 ديسمبر/كانون الأوّل لعام 2008، شنَّت إسرائيل حرباً على قطاع غزّة، أسمتها «الرصاص المصبوب»، فيما أطلقت عليها حركة (حماس) اسم «حرب الفرقان»، استمرّت لـ«21» يوماً (انتهت في 18 يناير/كانون الثاني 2008). أمّا الحرب الثانية فبدأت في 14 نوفمبر/تشرين الثاني 2012، حيث شنّت إسرائيل حرباً ثانية على قطاع غزّة أسمتها «عامود السحاب»، فيما أسمتها حركة حماس «حجارة السجيل»، واستمرّت لمدّة 8 أيّام. أسفرت تلك العمليّة العسكريّة عن مقتل 162 فلسطينيّاً بينهم 42 طفلاً و11 سيّدة، وإصابة نحو 1300 آخرين بحسب وزارة الصحّة الفلسطينيّة. أمّا الحرب الثالثة، فبدأت في السابع من يوليو/تمّوز 2014. شنّت إسرائيل حربها الثالثة على قطاع غزّة وأسمتها «الجرف الصامد»، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلاميّة (حماس) اسم «العصف المأكول» واستمرّت «51» يوماً (انتهت في 26 آب/أغسطس 2014). وعلى مدار «51 يومًا» تعرَّض قطاع غزّة، الذي يُعرف بأنّه أكثر المناطق كثافة للسكّان في العالَم (1.9 مليون فلسطيني) لعدوانٍ عسكري إسرائيلي جوّي وبرّي، تسبَّب بمقتل 2322 فلسطينيًا، بينهم 578 طفلاً (أعمارهم من شهر إلى 16 عاماً)، و489 امرأةً (20 ـ 40)، و102 مسنّ (50 ـ 80)، كما جُرح 11 ألفا آخرون (10870)، وفقاً لإحصائيّات صادرة عن وزارة الصحّة الفلسطينيّة.

(10) «الإحصاء الفلسطيني وصندوق الأُمم المتّحدة للسكّان يستعرضان أوضاع السكّان في فلسطين بمناسبة اليوم العالَميّ للسكّان»، **الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني**، متاح على:
https://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=4023.

يحدونا لطرح السؤال الأساسي: ما هي التحدِّيات التي واجهت المُراهقات في قطاع غزّة خلال الحرب الإسرائيليّة على قطاع غزة أيّار/مايو 2021 وعلاقتها بأمكنة النزوح؟

ثمّة وراء تحديد التحدِّيات التي واجهت المُراهقات في قطاع غزّة ومعرفتها، خلال نزوحهنّ في أيّار/مايو 2021، أهداف عدّة أبرزها: اكتشاف الفوارق بين تجربة المُراهقات اللّواتي نزحْنَ إلى مَدارِس الأونـروا، والمُراهقات اللّواتي نزحْنَ إلى بيوت عائلات مستضيفة، وأولئك اللّواتي نزحن إلى شقق مستأجرة من قِبَلِ عائلاتهنّ. كما تهدف الورقة إلى استكشاف الأدوار الجديدة التي أوكلت تبعًا للجندر والجنس خلال فترة النزوح والعلاقة بين مكان النزوح والأدوار المستجدّة. كذلك ستتطرّق الورقة إلى المسموح والممنوع في أماكن النزوح والمقارنة بينها، وإلى التحدِّيات التي واجهت المُراهقات النازحات على مستوى التعبير عن مشاعرهنَّ ومخاوفهنّ، وعلاقاتهنّ مع العائلة النوويّة (الأمّ والأب) والعائلة الممتدّة. كما ستحاول الورقة البحثيّة أن تُبيِّن اختلاف مصادر السلطة بحسب اختلاف مكان النزوح (مَدارِس الأونـروا، العائلات المستضيفة، شقق مستأجرة). وستطرح الورقة أسئلة عن قدرة المُراهقات على تطوير أساليب تكيّفهنَّ خلال الحرب والنزوح؟

تمّت مقاربة هذه التساؤلات والأهداف من منطلقات عدّة أولها: النظر إلى خطورة تحوّل بعض التحدِّيات التي تُواجِه الفتيات إلى شكل من أشكال العنف القائم على النوع الاجتماعيّ. ففي حالات الطوارئ والنزوح تصبح النساء والفتيات أكثر هشاشة وضعفًا مع انهيار الخدمات الأساسيّة وتقلُّص سُبُل العيش، وقد يُحرمنَ أيضاً من الوصول إلى الموارد والفرص والخدمات، وهذا بحدِّ ذاته شكل من أشكال العنف المبنيّ على النوع الاجتماعيّ[11]. أيضًا قد يتوقّع من الفتيات تولّي دور مقدِّمي الرعاية لأفراد الأسرة المصابين أو المساعدة في الأعمال المنزليّة التي كانت في السابق من مسؤوليّة أفراد آخرين، أو أنْ يتوقَّفنَ عن تعليمهنَّ من أجل أداء دور منزليّ كزوجات أو مقدِّمات رعاية[12]. وتزداد فرصة حدوث ذلك في قطاع غزّة مع تسبُّب القيود المفروضة على استيراد مواد البناء ونقص

(11) Wolfgang, Gressmann, *From the Ground Up: Gender and conflict analysis in Yemen.* (Oxfam GB for Oxfam international 2016), 26.

(12) Nader Said-Foqahaa, *The Imperative of mainstreaming gender In humanitarian action In Palestine: six case studies from Gaza* (Gaza strip: UN WOMEN. 2020), 14.

التمويل بتأخير عمليّة إعادة البناء، ما زاد من أمد النزوح والتهجير بحسب تقرير صادر عن (أوتشا)[13].

كما انطلقت هذه الورقة من أنّ الحروب المتتالية على قطاع غزّة لها طبيعة دوريّة، تتعلّق بإعادة إنتاج العواقب والتأثيرات الجندريّة نفسها. كما أنّ التأثيرات وعواقب الحروب ذات الطابع الجندري لا يتأثَّر بها الذكور والإناث، وكبار السنّ بالقدر نفسه، من دون إغفال تأثُّر الذكور بهذه العواقب[14]. لكنَّ الحرب التي شُنَّت على قطاع غزّة في أيّار/مايو2021 فاقَمَتْ من المخاطر المرتبطة بالجندر، وعوامل الهشاشة أو الضعف على مستوى الاحتياجات الإنسانيّة بين النساء والفتيات والرجال والفتيان في غزة، وذلك بحسب تقرير صادر عن الأُمم المتّحدة بُعَيْد عدوان 2021[15].

أيضًا استندت الدراسة إلى عيّنة غرضيّة purposive sample، وعلى الرغم من أنّ باحثين كثرًا اعتبروا أنّ التحيُّز في هذه العينة هو أحد عيوبها الأساسيّة، إلّا أنّه سيتمّ النظر إلى أنّ قوّة هذه العيِّنة بهذه الورقة تكمن في التحيُّز المتعمَّد الذي تنطوي عليه[16]. هذا التحيّز للفئة التي تدرسها الورقة لن يكون بإنكار أو إغفال تأثير التركيب الجندريّ على الذكور، بل بالتحيُّز للفئة الأكثر هشاشة وهي الفتيات الإناث.

ومن أجل الإجابة عن هذه الأسئلة تمّ تنظيم ثلاث حلقات نقاش مركَّزة[17] (اثنتان نُفِّذتا بتاريخ 31 تمّوز/يوليو 2021 والثالثة في 5 آب/أغسطس 2021)، شاركت فيها 23 فتاة تتراوح أعمارهنَّ بين 12 و18 عامًا وتمّت مراعاة متغيِّر العمر، ومتغيِّر النزوح أيضًا (أنظر الرسم البيانيّ رقم 1) في أثناء استخدام هذه العيّنة. عُقِدت حلقات النقاش في مناطق حدوديّة في قطاع غزّة (الحلقتان الأولى والثانية في بلدة «وادي السلقا» شرق مدينة دير البلح، والثالثة في المنطقة الحدوديّة لبلدة القرارة شرق محافظة خان يونس). تمّ أخذ موافقة الأهالي المسبقة على مشاركة أطفالهنّ في هذه الحلقات الثلاث، واطَّلعوا مسبقًا

(13) تقرير أوتشا. المرجع السابق.

(14) Nader said-foqahaa, Samer said, *Gender and War in Gaza untangled: what past wars have taught us* (Gaza strip: UN WOMEN, 2021), 21.

(15) Nader said-foqahaa, Samer said, Ibid, p. 4.

(16) Ma Dolores C, Tongco «Purposive sampling as a tool for informant selection,» *Ethnobotany Research and applications*, no. 5 (2007): 147-158.

(17) شاركت ابتسام السميري في تنظيم حلقات النقاش المركّزة وإعدادها.

على محاور النقاش، كما وافقوا جميعًا على استخدام الاسم الأوّل الحقيقيّ لطفلاتهنّ وعمرهنّ والمكان الذي نزحنَ إليه. استُخدِمت اللّغة العربيّة خلال النقاش وتحديدًا اللّهجة المحليّة لقطاع غزّة، كما تم تسجيل حلقات النقاش المركّز ومن ثمّ تفريغها وتعميم الأجوبة التي تكرَّرت كثيرًا، باستثناء التجارب الفريدة. كما تمّت إدارة حلقات النقاش المركّز الثلاث من خلال استبانة موحّدة حملت أسئلة عدّة مفتوحة مرتبطة بالحرب الأخيرة على قطاع غزّة (عدوان 2021)، تمّ الحديث فيها عن التحدِّيات التي واجهت الفتيات على مستويات عدّة من بينها: العناية الشخصيّة في ظلّ النزوح، العلاقة مع أفراد الأسرة، التكيّف مع المكان والواقع الجديد الفروق الجندريّة والضغوط النفسيّة والتعبير عن المشاعر وتمّ ربطها جميعًا بالمكان الذي تمّ النزوح إليه إنْ كان إلى منازل عائلات مستضيفة أو شقة مستأجرة أو مدرسة تابعة لوكالة الغوث وتشغيل اللّاجئين «أونروا».

الرسم البياني رقم 1

المُراهقات والفروق الجندريّة

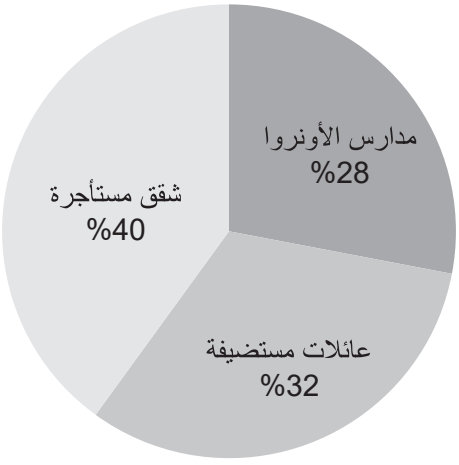

تتعرّض النساء والفتيات في حالات الطوارئ والنزوح، لضغوطٍ كثيرة تُحدِّدها الفروق الجندريّة السائدة في المُجتمع. في أثناء هذا تصبح النساء والفتيات أكثر ضعفًا مع انهيار الخدمات الأساسيّة وتقلُّص سُبُل العيش[18]. كما يتّم تشديد الضوابط خلال فترة الحروب

(18) Gressmann, Wolfgang ibid, (2016), 48.

أو النزوح أو الطوارئ بشكل عام. وقد يتأثَّر بهذا التشديد كلٌّ من الفتيان والفتيات لكن بمستويات مختلفة، ففي حين يتمرَّد المراهقون الفتيان على هذه القيود، يميل مقدِّمو الرعاية إلى تركيز السيطرة على الفتيات أكثر من الفتيان[19]. يعود ذلك إلى أنّه في بعض البلدان ومناطق الحروب، مثل قطاع غزّة، فإنّ القيود المفروضة على النساء تكون بالأصل موجودة قبل النِّزاع كجزء من الأعراف والعادات الاجتماعيّة الموروثة التي تتفاقم مع النِّزاعات المسلَّحة، حيث يُؤدّي النِّزاع والنزوح بشكلٍ خاصّ إلى عدم الاستقرار وإعادة تحديد أدوار الجنسيّن ما يُؤدّي إلى مزيدٍ من الانهيار في أنظمة دعم المُجتمع[20].

لم يكُن سهلًا على المُراهقات اللّواتي شاركْنَ في هذه الدراسة أن يُميِّزنَ الفروق الجندريّة وكان الحديث يبدأ دومًا عن الضغوط التي تعرَّضْنَ لها كفتيات ومن ثمَّ يَعُدنَ للحديث عن مشاعرهنّ. تميل الفتيات اللَّواتي ينشأنَ في مُجتمعات محافظة أو مُجتمعات تغلب فيها السلطة الذكوريّة إلى التأقلم (التكيُّف) مع العنف والفروقات الجندريّة، ويملنَ إلى تقبُّله كأمرٍ عاديٍّ ما يجعل تمييزه بالنسبة إليهنّ أمرًا صعبًا. إذ تميل المُجتمعات عادة إلى إنكار العنف وليس تبريره فحسب، إذ أشارت الباحثتان نهوند القادري عيسى وفاديا حطيط إلى إنكار «أغلبيّة الأمّهات من النازحات السوريّات في لبنان وبنسبة 71% اختلاف طرق تعاملهنَّ بين الصبيان والبنات»[21].

تحدَّثت المُراهقات عن ضغوطٍ عدّة لم تكُن مفروضة عليهنّ في السابق، أي خلال نزوحهنَّ عام 2014، منها التزام الغرفة التي يجلسنَ فيها وعدم الاختلاط والالتزام باللّباس المحتشم. ومن بين الفروقات التي ذكرتها الفتيات أنّ الذكور كانوا يتمتّعون برفاهيّة الخروج إلى خارج مكان النزوح في فترة الحرب للتنفيس قليلًا من الضغوط النفسيّة، بينما منع ذلك عنهنَّ. عبَّرت سارة (حلقة النقاش المركَّز الأولى) عن ذلك قائلة «تمنَّيتُ في الحرب أن أكون شابًّا لا فتاة، لأستطيع التمتُّع ولو قليلًا بإمكانيّة المشي في ساحة المدرسة حيث كنّا».

(19) Suzan J.Song & Peter Ventevogel. *Child, Adolescent and Family Refugee Mental Health* (Switzerland: Springer International Publishing, 2020), 28.

(20) Gressmann, Wolfgang ibid, (2016), 33.

(21) فاديا حطيط ونهوند القادري، **اللّاجئات السوريّات إلى لبنان: تحدِّيات الأمومة** (بيروت: الدراسة تمَّت بدعمٍ من المعهد الدوليّ للتربية ومؤسّسة فورد، 2019) ص 83.

إلى جانب هذا، أبلغت المُراهقات عن ضغوط تعرَّضنَ لها من أفراد العائلة الذكور، إمّا الأب أو الأخوة الذكور، وبالأخص في العائلات التي نزحت إلى المَدارِس، حيث أجمعت الفتيات المشاركات في حلقات النقاش المركَّز، على أنّهنّ كنّ ممنوعات من الخروج إلى ساحات المَدارِس التي يوجد فيها الرجال والشباب وذلك لتفادي أيّ اختلاط بين الجنسيّن والذي من شأنه أن يجلب العواقب والمشكلات. أيضًا تعرَّضت المُراهقات لضغوط تتعلّق بضرورة الالتزام بـ «الثياب المحتشمة كلّ الوقت في المدرسة، وكذلك التحدُّث بصوتٍ منخفضٍ» (منى ـ حلقة النقاش المركَّز الأولى). فُرِضَت هذه الضغوط على المُراهقات اللّواتي نزحْنَ إلى الشقق السكنيّة المستأجرة أو عند عائلات أخرى مستضيفة، ولكن فقط في حال كانت العائلات الأخرى المشتركة في السكن فيها ذكور. كانت هذه حال ناهد ابنة 17 عامًا التي شاركت في حلقة النقاش المركَّز الثالثة وقد نَزحت إلى منزل عائلة مُستضيفة مع عائلتها، حيث قالت إنّ تعليقات أخيها الأكبر منها سنًا كانت تزعجها، حيث كان يفرض عليها أن تلتزم الغرفة وأحيانًا أن تخفض صوتها. أظهرت ناهد قبولًا وتطبيعًا لهذه السلطة من أخيها عليها، ولكنْ ما أزعجها هو أنّه كان «يُعطي أوامره هذه أمام الآخرين وليس وهُما منفردَيْن».

في هذا القسم أيضًا حاولت الورقة الحاليّة فهْمَ المسؤوليّات الجديدة التي وقعت على عاتق الفتيات المُشاركات خلال فترة النزوح. أوّلًا بالنسبة إلى المُراهقات اللّواتي نزحن إلى المدارس، فقد أجمَعْنَ على أنّ أمهاتهنّ كنَّ يقمن بجميع ما هو مطلوب من عناية بالصغار أو تحضير الطعام أو أيّ شيء آخر وذلك تفهمًا من هؤلاء الأمّهات للضغوط التي تتعرّض لها المُراهقات، ووعيًا بأنّ بناتهنّ المُراهقات لا يحتملْنَ المزيد من الضغوط، فالخوف والبقاء في الغرفة كلّ الوقت وحده يكفي. أمّا الفتيات اللّواتي نزحن إلى بيوت عائلات مستضيفة، فقد كنَّ يشعرن بالخجل من عدم المساعدة في مهامٍّ التنظيف والطهو اليوميّة، مثلما أكّدت مريم (17 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الأولى)، أمّا شذا (15 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الثانية) فقالت إنّ أمّها كانت تحثّها على مساعدة قريباتها، لأنّها اعتبرت أنّ وجودهنَّ ليس بصفة ضيوف، بل بصفة نازحين وعليهنَّ تقاسم أعباء الأعمال المنزليّة اليوميّة من باب الامتنان لهم لاستضافتهم في بيتهم. أمّا الموضوع بالنسبة إلى النازحات مع عائلاتهن إلى الشقق السكنيّة المستأجرة فقد اختلف الأمر،

حيث تلاشى عامل الخجل والإحراج من الطرف المستضيف. فأصبح الجميع سواسية لا مستضيف ولا ضيف وبالتالي كان هناك تقسيم للأدوار وكلّ كان مسؤولًا عن عائلته، وهو ما أشارت إليه رهف (16 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الثالثة) «لم يوجد في الشقّة أعباء جديدة، والمسؤوليّات لم تتغيَّر فلقد أوكلت إليّ المسؤوليّات نفسها، وربّما بدرجةٍ أخفّ كتلك التي اعتدتُ القيامَ بها في منزلي».

السياق الثقافيّ والاجتماعيّ للتعبير عن المخاوف

كان لافتا جدًّا وواضحًا خلال حلقات النقاش كلّها أنّ الفتيات لم يحظيْنَ مسبقًا بفرصةِ معالجة مشاعرهِنَّ أو حتّى التعافي منها، وربّما أكثر من ذلك لم تتوافر لهنّ فرصة التعبير عن مشاعرهنّ التي رافقتهنّ في أثناء فترة الحرب والنزوح مع الآخرين. فبدت حلقات النقاش إلى حدٍّ ما، كأنّها مساحة آمنة أو حلقة تعافي من هذه المشاعر healing circles، فكانت أجوبة المُراهقات والفتيات تحوم دومًا حول مشاعر الخوف والرعب والهشاشة التي أصابتهنّ خلال فترة النزوح في الحرب الأخيرة، وقد تحدثّنَ عن كيفيّة اختلاف هذه المشاعر من تجارب الحروب السابقة التي كنَّ فيها طفلات وتجربة الحرب الأخيرة التي اختبرْنَها وهنّ مراهقات. بالنسبة إلى شذا (حلقة النقاش المركَّز الثانية) فخلال نزوحها عام 2014 لم تكن تدرك هول ما حدث آنذاك، ولم تخف خوفًا شديدًا كما حصل معها عام 2021 فهي الآن بحسب تعبيرها أكثر وعيًا، وتتابع مواقع التواصل الاجتماعيّ، وتُشاهِد الفيديوهات، وتقرأ الأخبار أو تسمعها وأصبحت تدرك معنى الخوف والموت معًا.

تتموضع مسارات الصحّة العقليّة أو النفسيّة للمراهقات والمراهقين في أماكن النزوح أو اللّجوء ضمن سياقات ثقافيّة واجتماعيّة معيَّنة، وهناك اتفاق بين الباحثين على أنّ هذه المسارات موجودة ومهمّة، ولكن «لا يوجد اتفاق على كيفيّة تفكيك: السياق (context) أو السياق الثقافيّ (cultural context)[22].

(22) Ria Reis, Mathilde R. Crone, and Lidewyde H. Berckmoes, «Unpacking Context and Culture in Mental Health Pathways of Child and Adolescent Refugees», *in Child, Adolescent and Family Refugee Mental Health*. Edited by Suzan J.song & peter Ventevogel (Switzerland: Springer International Publishing, 2020), 37.

فلا شكّ أنّ الأطفال والمراهقين ينشؤون بالتفاعل مع السياقات التي تحيط بهم، خصوصًا في منطقة كقطاع غّزة، حيث للسياقات الثقافيّة والاجتماعيّة سلطة على المُجتمع والنشأة والعامل الجندريّ مرتبط بها بشكلٍ وثيقٍ إن كان على مستوى الأدوار أو التوقُّعات التي تُسنَد إلى الإناث المُراهقات.

حاول بعض الباحثين فكفكة هذه السياقات من خلال محدَّدات قادرة على القياس الكميّ. على سبيل المثال، لفهم كيفيّة تأثير سياق الحرب على الصحّة العقليّة للأطفال، كان يؤخَذ بعَين الاعتبار عدد الأحداث الصادمة التي تمّ التعرُّض لها، ومقدار التعرُّض لها. إلّا أنّ الباحثين النوعيّين جادلوا بأنّ تأثير الصحّة العقليّة للعيش في سياق الحرب لا يمكن فهمه إلّا من خلال التحقيق في جميع الأبعاد السياقيّة ـ البيئيّة والتاريخيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة ـ التي تُشكِّل تجارب الأطفال ورفاههم العقليّ، بما في ذلك وجهات نظرهم الخاصّة[23].

لقد أتاحت حلقات النقاش المركَّز تحرّي وجهات نظر المُراهقات الخاصَّة، وتمّ التركيز على فكفكة السياق الاجتماعيّ ـ الجندري بما يتعلَّق بالصحّة العقليّة وتحديدًا المشاعر، والتأقلم مع الواقع الجديد، والمرونة النفسيّة لدى المُراهقات. وتمّ اعتماد الباراديغم البيئيّ Ecological paradigm الذي يُصوِّر «السياق» باعتباره «مكوِّنًا لعمليّة ديناميّة تتضمّن تفاعلات بين قدرات المراهق/ة الفرديّة من ناحية والبيئة التي ينغمس فيها»[24]. في هذا الباراديغم «فإنّ السياق الثقافي» ليس نظامًا لديه وظائف محدَّدة بجانب الأنظمة الأخرى، ولكنّه يتفوَّق على جميع مستويات النظام الأخـرى»[25]. هذا التفوُّق للسياق الثقافيّ الاجتماعيّ ظهر جليًّا في حلقات النقاش المركَّز الثلاث، حيث أشارت المُراهقات إلى وجود قيود رافقت تعبيرهنَّ عن مشاعرهنَّ. هذه القيود فرضها الأهل وأفراد العائلة أحيانًا على المُراهقات، وأحيانًا أخرى فرضتها المُراهقات على أنفسهنَّ. وقد أظهر النقاش في الحلقات كلّها أنّ هذه القيود المفروضة باللّين حينًا وبالشدّة أحيانًا مرتبطة بالأعراف الاجتماعيّة وموروثات تتعلّق بالمفاهيم الجندريّة للنساء. على سبيل المثال، لم تكُن هبة

(23) المرجع نفسه.
(24) االمرجع السابق، ص 38.
(25) المرجع نفسه.

(هبة 17 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الثالثة)، التي نزحت إلى إحدى مَدارِس الأونروا قادرة على البكاء، على الرّغم من حاجتها إلى ذلك، واضطرّت إلى إخفاء مشاعرها ورغبتها بالبكاء بسبب وجود غرباء كانوا يتقاسمون الغرفة مع عائلتها. أمّا أماني (14 عامًا ـ حلقة النقاش الثانية) فعانت من التعبير عن شعورها بالغضب، خصوصًا لدى حدوث شجارات مع أفراد العائلة، حيث كانت تطلب أمُّها دومًا منها أن تصبر وتكظم غيظها «فالوقت غير مناسب لأيّ مشاكل مع الآخرين» بحسب تعبيرها. أمّا سناء وعلى الرّغم من صغر سنِّها، إذ تبلغ 12 عامًا فقط (حلقة النقاش الأولى)، وصفت نفسها بالهادئة وكانت تتلافى المشكلات أغلب الأوقات، إلاّ أنّها لم تكن قادرة على تمالك نفسها في أثناء لحظات القصف وكانت تصرخ بصوتٍ عالٍ من الخوف، لكنّ أخاها طلب منها عدم الصراخ بصوتٍ عال فبرأيه «لا داعي للصراخ. فهي ليست في المنزل». تُشير هذه الرقابة الشديدة على التعبير عن الخوف والرعب والهلع إلى سياق ثقافي مسيطر على المُراهقات النازحات في قطاع غزّة، إذ تفرض العادات والتقاليد والموروثات على سناء الطفلة ذات الـ12 عامًا وغيرها من الفتيات موضعة صحتهنّ العقليّة في مسارات يُحدِّدها العيب والمسموح والممنوع للفتيات. فالصراخ في أثناء القصف الشديد مسموح في المنزل وغير مسموح في مكان النزوح. وخلصنا إلى أنّ الفتيات الأكبر سنًا مثل (هبة 17 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الثالثة) تفاعلنَ مع هذا السياق بشكل مختلف، بوضعهنَّ لأنفسهن رقابة ذاتيّة على التعبير عن المشاعر، وتموضعن طوعًا بما هو سائد وربّما يعود ذلك إلى وعيهنّ في أثناء تجارب النزوح السابقة.

الضغوط النفسيّة والتعبير عن المشاعر

يعاني المراهقون/ات من الرجوع إلى حياتهم الطبيعيّة التي كانوا يعيشونها قبل الحرب، إذ إنّ النِّزاعات المسلّحة تُعطِّل العديد من جوانب علاقات الطفولة حيث يشعر الفتيان والفتيات «بانهيار النظم المُجتمعيّة التي يتردَّد صداها طوال حياتهم، ويفقد مقدِّمو الرعاية سُبُلَ عيشهم وشعورهم بالأمان ويضطرّون إلى الانتقال إلى أُسَرٍ أكثر اكتظاظًا بحثًا عن مأوى جديد»[26]. ولا شكّ في أنّ التعامل مع تداعيات النِّزاعات المسلّحة يُعدّ «أحد

(26) Song, S. J., & Ventevogel, P.. *Child, Adolescent and Family Refugee Mental Health* (Switzerland, Springer International Publishing, 2020), 20-21.

أبرز التحدِّيات التي تُواجِه الأُسَرَ بما فيها الرجال والنساء، الفتيان والفتيات، وعليهم إدارة مشاعرهم حول موت أحبائهم وتدمير منازلهم وشعورهم بالعجز لحماية من يُحبّونهم وعدم قدرتهم على توفير الاحتياجات الأساسيّة لأسرهم ممّا يجعلهم تحت ضغط نفسيّ شديد»[27].

فقد تحدَّثت المُراهقات عن إدراكهنَّ المعنى الحقيقي للموت وقد أصبحنَ يخشينَ على ذويهنَّ وأقاربهنَّ من الموت. عبّرت سمر (17 عامًا ـ حلقة النقاش الثالثة) عن شعورها بالقلق طوال الوقت، قائلة «كنتُ أخاف أن يستشهد جميعُ مَن في المنزل وأبقى لوحدي، لقد كان هاجسًا لا يُفارِقني. وقد وافقها الرأي مريم وسماح (حلقة النقاش المركَّز الأولى) اللّتان كانتا تُتابِعان باستمرارٍ كيف أنّ آلة الحرب حصدت عائلات بأكملها، من بينها عائلات تركت وراءها أطفالًا وحيدين من دون مُعيل، وهذا ما زرع الرعب والقلق في نفوسهنّ.

تنوَّعت مصادر الخوف لدى المُراهقات النازحات، ولم تنحصر في شدّة القصف فحسب، بل كان مكان النزوح إحدى مصادر الشعور بعدم الأمان أيضًا، ومصدرًا لمخاوف ترتبط بالمكان نفسه. أجمعت المُراهقات اللّواتي نزحنَ إلى الشقق السكنيّة أنّ خوفهنّ الأكبر تمثّل في لحظة الانتقال من بيوتهنَّ إلى نقطة النزوح. هذه المسافة اعتبرتها الأغلبيّة العظمى من الفتيات اللّواتي شاركنَ في حلقة النقاش الأولى بمثابة الجحيم. فقد كنَّ يخفْنَ من أن يتمَّ قصف السيّارة، أو مكان قريب من مكان تنقّل السيّارة. عبَّرت شيماء (14 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الأولى) عن هذه اللّحظة بالقول: «كنتُ أشعر بالأمان أكثر عندما أكون تحت سقف منزل، لا في سيّارة أو مكان مكشوف». أمّا إيمان (14 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الأولى) فاعتبرت أنّ فكرة تنقلهم خلال الحرب كانت مرعبة قائلة «لا يوجد مكان آمن فالبقاء حيث نحن أقلّ رعبًا». بدوره، انسحب خوف المُراهقات على أفراد العائلة الذين كانوا يخرجون لتأمين الحاجيات اليوميّة، فقد كانت هدى (13 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الثالثة) التي نزحت مع عائلتها إلى شقَّة سكنيّة مستأجرة ترتعب، بحسب تعبيرها، عندما يضطرّ والدها أو خالها للخروج من أجل تأمين احتياجات

(27) Nader Said-Foqahaa, *The Imperative of mainstreaming gender In humanitarian action In Palestine: six case studies from* (Gaza: UN WOMEN. May 2020), 6-7.

العائلات التي كانت معهم في الشقّة. أمّا رهف (16 عامًا ـ حلقة النقاش المركَّز الثالثة)، التي نزحت أيضًا إلى شقّة سكنيّة مع عائلتها، فرأت أنّ الرعب الحقيقي بالنسبة إليها كان محيط الشقّة نفسها «كنت أخاف وجود مكان أو شخص مستهدف في المبنى نفسه أو في جواره فيتمّ قصفها بالكامل، كانت الفكرة تطاردني كلّ الوقت».

وعبّرت المُراهقات اللّواتي نزحْنَ إلى المَدارِس عن اطمئنانهنّ كونهنّ في مكانٍ تابعٍ للأُمم المتّحدة، وشعرْنَ بالأمان أكثر من غيرهنّ، كما أسلفنا في القسم السابق، لكنّ الخوف تجلّى بقلقهنَّ من طول مدّة النزوح في المدرسة. أمّا بالنسبة إلى المُراهقات اللّواتي نزحْنَ إلى عائلاتٍ مستضيفة، فلم يكُن هناك خوف مرتبط بالمكان، فالناس مألوفون والمكان مألوف أيضًا.

المُراهقات والعناية بالنظافة الشخصيّة

برزت من بين التحدِّيات التي واجهتها المُراهقات اللّواتي نزحنَ إلى مَدارِس الأونروا مسألة النظافة الشخصيّة، وخصوصًا تحدِّيات استخدام دورات المياه العامّة في المَدارِس التابعة لوكالة الغوث وتشغيل اللّاجئين» أونـروا». طغى موضوع النظافة على الشعور بالخوف عند ندى (16 عامًا) وأختها الأصغر عبير (12 عامًا)، حيث انتقلتا مع أسرتهنَّ ثالث أيّام الحرب إلى المدرسة بعد أن تمّ قصف المنزل الملاصق لمنزل أقاربهنّ حيث نزحن في بداية العدوان. قالت ندى (حلقة النقاش المركَّز الأولى)، إنّه كلّما «أردنا الاستحمام كنّا نذهب مع أبي إلى بيت خالتي القريب من المدرسة، لأنّ دورة المياه في المدرسة لا يوجد فيها خصوصيّة للاستحمام كفتاة كما أنّها ليست نظيفة». وقد أشارت الأُمم المتّحدة في تقريرٍ لها أنّ تدمير مرافق الاغتسال والمراحيض في الملاجئ أو الاعتماد على المرافق المشتركة من شأنه أن يولِّدَ مشكلات تتعلّق بالخصوصيّة والسلامة[28]، ما يُجبِر النساء والفتيات على البحث عن بديل فيضطررن إلى المشي لمسافات طويلة لاستخدام المراحيض والأغلبيّة قد يخترنَ الانتظار حتّى حلول الظلام ما يجعلهنّ عرضة للمُضايقة[29].

(28) Ibid.p:29.
(29) Gressmann, Wolfgang, ibid (2016), 40-41.

كما برزت لدى المُراهقات هواجس تتعلّق بخصوصيَّتهنَّ فسارة (13 عامًا) وابنة عمّها منى (14 عامًا) من اللّواتي شاركنَ في (حلقة النقاش المركَّز الأولى) أعربتا عن هواجسهما قبل الحرب تجاه النزوح إلى المَدارِس، حيث لطالما خشيتا الاضطرار للنزوح للمدرسة والتخلّي عن خصوصيّاتهنّ ومع ذلك فقد أجبرتا مع عائلتيهما إلى النزوح للمدرسة بعد قصف أحد الأهداف القريبة من منزل أسرتيهما وتضرّر المنزل وأصيب عدد من أفراد العائلة، تقول سارة «هربنا حفاة الأقدام، وشعرنا أنّ المدرسة جنّة أمام الرعب الذي عشناه». من جهتها علّقت منى بالقول إنّها لم تكن تتمنّى أن تترك منزلها لتعيش في المدرسة لكنّ الخوف والبحث عن الأمان دفعها وعائلتها للمكوث نحو أسبوع فيها. في البدء لم تكترث منى إلى مسألة الحمّامات في المدرسة لكن مع مرور الوقت أصبحت من التحدِّيات الكبيرة بالنسبة إليها، نظرًا لقلّة عدد الحمّامات مقابل العدد الكبير من النازحين. كما أنّها لفتت إلى أنّها لم تكن تستطيع استخدام الحمّام عند الحاجة، إنّما كانت تنتظر فترة المساء المتأخِّر لتستخدمه حين يكون أغلب النازحين نائمين. توافقها بالرأي سارة التي كانت تذهب مع منى إلى الحمّام لتقف لها عند الباب خشية أن يأتِيَ أحدهم. أمّا فرح (11 عامًا) (مجموعة النقاش المركَّز الثانية)، فقالتْ «إنّه طفح الكيلُ مع الأطفال الصغار كانوا يستخدمون الحمّام ويتركونه مُتَّسِخًا ولا أحدَ يكترثُ من العائلات، لكنَ خالتها ذات الشخصيّة القويّة تدخَّلتْ وأجبرت العائلات على تنظيم عمليّة تنظيف الحمّامات ما سَهَّل الأمرَ لاحقًا.

اختلف موضوع نظافة الحمّامات من حيث الأهميَّة بالنسبة إلى مَنْ نزحوا إلى بيوت عائلات مستضيفة أو شقق مستأجرة. تقول لين (13 عامًا) التي نزحت إلى بيت خالها إنّها لم تشعر أبدًا بالانزعاج في حال أرادت استخدام الحمّام وأنّها معتادة على القدوم إلى بيتهم في الأوقات العاديّة، وكانت هي وابنة خالها الكبرى مسؤولتين عن تنظيف الحمّامات والبالغ عددها ثلاثة حمّامات. كان الأمر مماثلًا بالنسبة إلى إيمان (14 عامًا) وأختها أسيل (13 عاماً) اللّتين نزحتا مع أسرتيهما إلى شقّة سكنيّة مُستأجَرة مع أقارب آخرين لهما، حيث تمّ توزيع الأدوار منذ البداية على العائلات من حيث النظافة والمُهمّات اليوميّة الأخرى.

ظهر تحدّ ثانٍ متعلِّق بالنظافة الشخصيّة لدى المُراهقات المشاركات في الدراسة حيث ذكرت هبة (17 عاماً) (حلقة النقاش المركَّز الثالثة)، التي نزحت إلى مدرسة من مَدارِس الأونروا مع عائلتها، أنّها عند وصولها إلى المدرسة كانت في أوّل أيّام الدورة الشهريّة، عدا عن الألم المصاحب لها كانت هبة تخجل من التخلُّص من الفُوَط الصحيّة في الحمّامات العامّة، الأمر الذي عانت منه أيضاً أسيل 13 عاماً (حلقة النقاش المركَّز 3)، التي نزحت إلى شقّة سكنيّة مُستأجَرة مع أقارب العائلة والتي بدورها كانت تخجل من موضوع تخلُّصها من الفوط الصحيّة لأنّ الحمّامات كانت تستخدم من قبل الجميع في الشقّة بمَن فيهم الذكور.

المُراهقات ومُشكلات النوم

عانت المُراهقات أيضاً من النوم المتقطِّع وغير المريح؛ عمومًا فأغلبيّة المشاركات كنّ يستيقظن كثيراً بسبب القصف الذي يشتدّ ليلاً وهذه كانت سياسة الاحتلال الإسرائيليّ لترويع المدنيّين في قطاع غزّة. لكن هناك فروقات عديدة بين مَن نزحوا إلى مَدارِس الأونروا والشقق المستأجرة والعائلات المستضيفة. بالنسبة إلى الشقق كانت الليالي الأولى صعبة للتأقلم مع النوم، مكان جديد وقصف شديد، حيث يخاف معظم النازحين إلى الشقق المستأجرة من البيوت المجاورة لهم، هل هي أهداف للجيش الإسرائيلي؟ فدائماً ما كان يتردّد هذا السؤال في أذهانهم خوفاً من أن يتمّ قصف الأماكن المجاورة لشقتهم، وهو ما عبرت عنه رهف (16 عاماً) وهدى (13 عاماً) في حلقة النقاش المركَّز الأولى ونغم (15 عاماً) من حلقة النقاش المركَّز الثانية.

أمّا النازحات إلى المَدارِس فقد عانَيْنَ الأمرَّين في النوم، فالغرفة كانت تحوي أكثر من عائلة وفيها أطفال صغار لا ينامون بسبب اكتظاظ المكان والأصوات العالية، وكان أغلب النازحين يسهرون إلى ساعات متأخِّرة من الليل. عبَّرت المُراهقات خلال حلقات النقاش المركَّز الثلاث عن معاناتهنّ مع النوم، إذ قالت لجين (15 عاماً) في حلقة النقاش المركَّز الثالثة: «ما كنتُ آخذ راحتي بالنوم قدّام ناس غريبة». أمّا فرح من حلقة النقاش المركَّز الثانية فقالت: «كنّا عيلتيْن بالغرفة والعيلة التانية كلّها أطفال صغار دايماً بصرخوا». كما ذكرت الفتيات النازحات إلى المَدارِس أنّهنّ كنّ ينمن وهنَّ يلبسن الحجاب لعدم

وجود خصوصيّة في المكان ولتشديد أهاليهم على ضرورة الالتزام بالستر أمام الآخرين، فالمُجتمع الغزّي شعب محافظ، وأغلبيّة نسائه يرتديْنَ الحجاب.

المُراهقات وفقدان الخصوصيّة

تعاني النساء والفتيات عموماً في فترات النزوح من فقدان الخصوصيّة ما يُشكِّل لهنّ تجربة مرهقة كونهنّ إناثاً[30]، كما أنّهنّ في أماكن النزوح أكثر عرضة للعنف القائم على النوع الاجتماعيّ بسبب الافتقار إلى الخصوصيّة والأمن في الملاجئ والمخيَّمات[31].

تجلّى فقدان الخصوصيّة بالحرمان من اختيار ما تلبسه الفتيات من الملابس، وقد حظي بحيّز غير قليل عند جميع الفتيات المشاركات في مجموعات النقاش المركّز الثلاث؛ فقد أجمعن على عدم تمكُّنهنّ من لبس ما يحلو لهنّ من ثياب مريحة أو مكشوفة على الرّغم من ارتفاع درجات الحرارة في ذلك الوقت. كما طُلب من المُراهقات اللّواتي نَزَحْنَ إلى المدارس أن يلتزمْنَ بارتداء الحجاب بشكلٍ دائم حتّى خلال النوم من قِبَلِ عائلاتهنّ؛ حتّى المُراهقات اللّواتي نَزحْنَ إلى عائلاتٍ مُستضيفة كنّ يفعلْنَ الأمر نفسه، أي يرتدينَ ملابس محتشمة خلال النهار باستثناء أنّه كان من المسموح لهنّ خلْع الحجاب في أثناء النوم. أمّا الفتيات اللّواتي نزحْنَ إلى الشقق السكنيّة المُستأجَرة برفقة أقاربهنّ فقد حظينَ بخصوصيّةٍ أكثر بقليل فقط، فلم تكُن المُراهِقة معرَّضة لدخول أيّ شخص غريب إلى المكان الذي تكون فيه وكذلك لم يكُن هناك ضغوط من الأهالي عليهنّ للبْسِ الحجاب بشكلٍ دائم، إلّا أنّ ناهد (17 عاماً ـ حلقة النقاش المركَّز الثالثة) التي نزحت إلى شقّة سكنيّة مُستأجَرة كانت ترتدي الحجاب حتّى خلال النوم بقرارٍ منها خوفاً من أن تضطرّ إلى الهروب ليلًا وأن لا يكون هناك متّسع من الوقت لترتديه.

المُراهقات والعلاقة مع أفراد الأسرة

يُعاني المُراهقون/ات علاقة شائكة مع أهاليهم، وليس خفيًّا أنّ أصعب الأوقات على الأولاد والأهل على حدّ سواء هي فترة المراهقة، فكيف إن كان على المراهقة/ة أن تعيشها في ظلّ حروب وحالة طوارئ مستمرّة؟ وقد لفتت إحدى الدراسات إلى وجود

(30) Said-Foqahaa, Nader, p:36.
(31) Gressmann, Wolfgang, ibid, (2016), 10.

تحدِّيات مشتركة متفاوتة في الدرجات بين الفتيان والفتيات في قطاع غزّة، حيث يعاني كلاهما على حدٍّ سواء، وبخاصّة الذين فقدوا مقدِّمي الرعاية الأساسيين لهم، من نقصٍ عاطفيّ وإهمال من أفراد الأسرة المتبقّين ويبقى الأيتام من الذكور والإناث من بين الفئات الأكثر ضعفاً[32].

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ تجربة النزوح التي تتناولها هذه الورقة تُعدّ تجربة النزوح الثانية لعددٍ كبيرٍ من المُراهقات المُشارِكات في الدراسة الحاليّة والثالثة لبعضهنّ وتحديداً اللّواتي وُلِدن قبل عام 2008 ولكن لا يذكرن كثيراً من تفاصيل تلك الحرب لصغر سنهنّ آنذاك. ولكنْ عموماً هناك تجارب نزوح إضافيّة لهؤلاء المُراهقات اللّواتي كنّ ينتقلْنَ مع عائلاتهنّ موقّتاً إلى بيوت الأقارب البعيدة عن الحدود حيث يعشْن في أيّام التصعيدات المتكرِّرة خوفاً من تأجُّج الحرب. شكّلت هذه التنقُّلات لدى الفتيات خبرة عامّة بالمكان الأكثر ملاءمة لهنّ في حال اضطررنَ إلى النزوح. واللّافت أنّ بعض المُراهقات شاركْنَ أُسرهنّ قرار اختيار مكان النزوح، إذ قالت شذا 15 عاماً خلال مشاركتها في (حلقة النقاش المركَّز الثانية) إنّها أخبرت والدها بميلها للبقاء في بيت جدّها لأنّها ترتاح لوجود بنات عمّها بجوارها ولا تريد النزوح إلى شقّة مُستأجرة لأنّها «تخاف الأماكن الجديدة، وخصوصاً في أثناء الحرب». لكنّ رفاهيّة الاختيار لم تكُن دائماً متوافرة. ففي بعض الأحيان اضطرّت العائلات مرغمة إلى النزوح إلى مَدارِس الأونروا بحثاً عن الأمان. بالنسبة إلى عبير 16 عاماً (حلقة النقاش المركَّز الأولى) التي نزحت إلى المدرسة فالأمان هو فوق كلّ شيء، مع أنّها أكّدت مُعاناتها في الاستحمام والنوم والراحة في الملابس إلّا أنّها كانت مستعدَّة لتحمّل كلّ هذا مقابل شعورها بالأمان والاطمئنان. ووافقتها الرأي أيضاً فرح 12 عاماً (حلقة النقاش الثانية) بأنّ المدرسة أعطتها شعوراً بالأمان، كونها مكانًا لن يقصف، وكان شعوراً ملحّاً بالنسبة إليها وقتها حيث عانت كالجميع من الخوف والرعب. كانت لعبير (12 عاماً) من الحلقة المركَّزة الأولى تجربةٌ مُماثِلة، ففي بادئ نزحتْ إلى بيت خالتها هي والنساء فقط، بينما بقي والدها وأخوتها الذكور في المنزل. هذا التقسيم شائع في غزّة خلال الحروب حيث تنزح النساء إلى شقّة ويبقى الذكور في شققٍ مُنفصلة. بالنسبة إلى عبير والإناث

(32) Nader said-foqahaa, Samer said, *Gender and war in Gaza untangled: what past wars have taught us* (Gaza strip: UN WOMEN, 2021), 14.

الموجودين معها، فقد قرَّرنَ بعد قصف المنزل المُجاوِر لهنّ أن ينزحْنَ إلى المدرسة؛ روت عبير قائلة «تمّ قصف هدف مجاور للمنزل الذي نتواجد فيه وأصابَتنا الشظايا ونحن نائمات، ووجدنا أنفسنا نهرب حافيات لا إراديّاً إلى أقرب مدرسة تابعة للأونروا نبحث فيها عن مأوىً آمن بعد اعتقادنا بأنّ منزل خالتي بعيدٌ عن أيّ قصف». أشارت عبير من خلال تجربتها كيف أنّ النساء أحياناً يقلقْنَ من ردود فعل الذكور في العائلة على أيّ قرار يتّخذنه، إذ أشارت إلى أنّه بعد وصولهنَّ إلى المدرسة «اتّصلنا بأبي لنخبره أنّنا في المدرسة مع عِلمنا المُسبق أنّه لن يعجبه هذا لكنّنا جميعاً كنّا مضطرّين لذلك وكنّا مضطرّين لأخذ القرار بالفرار إلى المدرسة لحين عودة الهدوء ثمّ التفكير بالنزوح إلى مكانٍ آخر.

المُراهقات والتكيُّف مع المكان والواقع الجديد

أظهرت المُراهقات اللّواتي شاركْنَ في الدراسة مرونةً نفسيّة عالية، من ناحية القدرة على التأقلُم السريع مع المكان والواقع الجديد في أوقات النزوح وما بعدها. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه خلال الحرب الإسرائيليّة على قطاع غزّة في العام 2014، نَزحتْ معظم العائلات الحدوديّة بعد إعلان الجيش الإسرائيلي دخوله البرِّيّ إلى القطاع[33]، حيث نَزَحَ ما يزيد على 485000 شخص منهم 100000 شخص ظلّوا نازحين حتّى بعد انتهاء الحرب. لا شكّ في أنّ هذه التجربة القاسية جَعلت اتّخاذ قرار النزوح بعدها قراراً يتحتّم اتّخاذه بسرعة، وهو ما أيقنه سكّان المناطق الحدوديّة في قطاع غزّة، والذين استطاعوا اتّخاذ قرار النزوح منذ اليوم الأوّل في عدوان أيّار/مايو 2021، من هنا يُمكِننا الْتِماسُ بدء التكيُّف مع واقع النزوح في بلدٍ يرزح تحت الاحتلال والحصار والحروب المُتتالية.

لا يُفارق المُراهقات هاجس وقوع حروب جديدة في المستقبل، منهم نغم (حلقة النقاش المركَّز الثالثة) فهي تفكِّر كيف ستكون الحرب المُقبلة؟ هل سننزح إلى المدرسة؟ وكم سنبقى وكيف سأعيش هناك؟ أسئلة كثيرة تطرحها هذه المراهقة فهل هنّ حقاً قد تكيَّفن مع الواقع الجديد؟

أشارت الإجابات من حلقات النقاش المركَّز الثلاث إلى أنّ المُراهقات اللّواتي نزحْنَ إلى بيوت عائلات مستضيفة قد أَلِفْنَ المكان بشكلٍ أسرع وذلك لوجود مُضيفين

(33) Hannah Rought-Brooks, *Gaza: The Impact of Conflict on Women* (Norwegian Refugee Council 2015), 5.

بالأساس الذين هُم أصحاب البيوت والذين عملوا في البداية بعادات استقبال الضيوف والتكافُل الاجتماعيّ الذي يُميِّز الفلسطينيّين في قطاع غّزة. حظِيَت سمر 17 عاماً حلقة النقاش المركَّز الثالثة بمعاملةٍ خاصّة من صاحبة المنزل لكونها مراهقة وتحتاج إلى خصوصيّة معيَّنة. فكانت تنام في غرفة النوم على السرير لا على الأرض مع الصغار. ولأنّ معظم العائلات المُستضيفة كانت من الأقارب، بدتِ العلاقة بين المُراهقات والموجودين سَلِسَة أكثر. فهنّ معتادات على أقاربهنّ وقد نزحْنَ إلى المكان نفسه في السابق.

أمّا المُراهقات اللّواتي نزحْنَ إلى المَدارِس، فكان لهنّ رأي آخر. فالتكيّف مع المكان كان من أصعب الأمور بالنسبة إليهنّ. وَصفتْ منى (14 عاماً ـ حلقة النقاش المركَّز الأولى)، الأسبوع الذي أمضته في المدرسة بالأسوأ في حياتها، فهي لم تعتد النوم مع غرباء في غرفة واحدة، كان الأمر مُقلقاً على حدٍّ تعبيرها. أيضاً لم ترتح لجين (15 عاماً ـ حلقة النقاش المركّز الثالثة) بقضائها الوقت كلّه في مكان لا يشبه المنزل، فهي كانت في غرفة كبيرة لا يوجد فيها سوى بضع فرشات من الإسفنج وعدد من الطاولات على طرفها، كان المكان موحشاً. وفق تعبيرِ لجين لا أحد يريد أن يبقى في مكانٍ كهذا لمدّة طويلة. إلّا أنّ فرح (12 عاماً ـ حلقة النقاش المركَّز الثانية)، وَجدت لنفسها مَخرجاً فقد كانت معظم الوقت تتحدّث مع صديقاتها وقريباتها على تطبيق واتساب باحثةً عن الألفة لأنّ الصفّ الذي كانت فيه خلال نزوحها إلى المدرسة لا يوجد فيه مراهقات أو فتيات في مثل عمرها.

على مستوى التكيّف مع المكان والواقع الجديدين، لم تختلف تجربة المُراهقات اللّواتي نزحن إلى الشقق السكنيّة المستأجرة كثيراً عن اللّواتي نزحن إلى عائلات مستضيفة، فالتأقلم مع النازحين معهم كان سهلًا لأنّ معظمهم من الأقارب، بينما كان صعباً التأقلم مع المكان ولم يحصل ذلك سريعاً. وصفت نور (12 عاماً ـ حلقة النقاش الثانية)، هذه الحالة: «أكره ذكرياتي في تلك الشقّة، كان المكان مزدحماً جدّاً ولا يوجد أثاث إلّا الفرشات التي أحضرناها معنا عندما نزحنا، لقد كان المكان مخيفاً».

وفي حين تميل المُراهقات لإبقاء مَدارِس الأونروا آخر خيارٍ للنزوح، وضعتها مراهقات أخريات مثل لجين 15 عاماً وهبة 17 عاماً (حلقة النقاش المركَّز الثالثة)

كأوّل خيار، إذ تفضِّلان في المرّة القادمة في حال نشوب حرب مع إسرائيل الذهاب في الحال إلى المدرسة مع أنّها لم تكُن المكان المثالي لمكوثهما فترة الحرب. لكنّ الشعور بالأمان شعور لا يوصف في أوقات الخوف على حدٍّ تعبيرهما. أمّا بعض الفتيات فعبَّرْنَ عن انزعاجهنّ من فكرة النزوح حتّى إلى بيوت عائلات مستضيفة، ومنهم أماني (14 عاماً) التي شاركت في حلقة النقاش المركّز الثانية، والتي أرادت العودة إلى منزلها الحدوديّ خلال الحرب لكنّ العائلة لم توافق. لم تشعرْ أماني بالراحة في مكان نزوحها، وأضافت أنّ طول مدّة النزوح جعلتها تشعر بعدم الاكتراث للقصف المشدَّد والمُخيف، وكلّ ما كانت تريده هو الإحساس بالراحة والخصوصيّة، وهو ما طغى على حاجتها إلى الشعور بالأمان، لذلك عبَّرت عن رغبتها بعدم النزوح من منزلها في المستقبل بحال شُنَّت حرب جديدة على قطاع غزّة. أخضعت معظم المُراهقات المشاركات تجربة نزوحهنّ لما يُشبِه إعادة التقييم، وتوقَّعنَ أنّها لن تكون تجربتهنّ الأخيرة، فهنّ عشْنها كأطفال، وكمراهقات، ومنهنّ مَن توقَّعنَ أن يعشْنها كبالغاتٍ وربّما كزوجاتٍ وأمّهاتٍ في المستقبل.

خلاصات

من خلال تحليل حلقات النقاش الثلاث، لم نرَ ارتفاعاً ملحوظاً في مستوى الهشاشة لدى المُراهقات في قطاع غزّة، ولا ارتباطاً وتقاطعاً لهذه الهشاشة مع الحروب السابقة فحسب. بل ظهر من خلال الإجابات أنّه تمّ بناء نظامٍ صلبٍ من الهشاشة فُرض على الفتيات، مبنيّ على عوامل عدّة[34]:

أوّلاً: أثَّرت الأعراف والمعايير الاجتماعيّة على تصرُّفات الفتيات ومَواقفهنّ وعلى فهمهنّ للتحدِّيات التي واجهتهنّ. فقد أظهرْنَ ميلًا لقبول ما كان يُطلَب منهنّ من الذكور

(34) تمّ استلهام بعض هذه العوامل من كتيّب أو «**أداة تقييم مَخاطِر في حوادث العنف الأسريّ المعروف**» بـ«**B-SAFER**» الذي تستخدمه بعض المنظّمات الكنديّة أثناء الاستجابة للتبليغ عن حوادث عنف أسريّ من طرف الشريك الحميم. الأداة عبارة عن 15 سؤالاً تساعد المُستجيب على تقييم مستوى الخطر الذي تتعرّض له الضحيّة، واللّافت أنّ قسماً من الأسئلة يركّز على عوامل الهشاشة لدى الضحايا.

Stephen D. Hart, and Henrik Belfrage. *led to the development of the Brief Spousal Assault Form for the Evaluation of Risk* (**Canada: B-SAFER,** Department of Justice Canada, the British Columbia Institute Against Family Violence (BCIFV), 2004.

في العائلة في أثناء فترة النزوح كعدم الضحك، أو الصراخ، أو الالتزام بالحجاب وعدم الخروج إلى باحة المدرسة في أثناء النزوح. تتقاطع هذه المواقف والتصرُّفات مع اتِّخاذ المُراهقات إجراءات للحماية الذاتيّة من خلال (تقليل أثر العنف والاستهانة به، قبوله على أنّه أمرٌ طبيعيّ، ومن خلال التصرُّف بناء على ما يتوافق مع المُعتقدات الاجتماعيّة والثقافيّة السائدة).

ثانياً: من عوامل الهشاشة أيضاً ثمّة الخوف الشديد، وقد تنوَّعت مصادر الخوف بالنسبة إلى الفتيات، فأوّلًا كنّ يخفنَ الحرب، وكذلك فقدان عالَمهنّ أو عائلاتهن، وقد أشرْنَ إلى خوفهنّ من ذكور العائلة بخصوص ما يَقُمْنَ به. وبغضّ النظر عمّا إذا كان هذا الخوف منطقيّاً أم لا، فإنّ هذا العامل يُحتسب كعامل إضافيّ يُسبِّب أو يَخلق هشاشةً لدى هؤلاء المُراهقات.

ثالثاً: عدم وجود مصادر للدعم، وخصوصاً لهؤلاء الفتيات المُراهقات، على المستوى النفسيّ والصحّيّ... إلخ. وحتّى لو وُجِدَت هذه المصادر قد لا تتمكَّن المُراهقات من الوصول إليها أحياناً بسبب الفروق الجندريّة أو المعايير الاجتماعيّة أو ثقافة العيب. فهنا علينا أن نتنبّه إلى أنّ وجود المصادر لا يعني بالضرورة أنّ المُراهقات يمكنهنّ الولوج إليها والاستفادة منها.

ومن عوامل الهشاشة أيضاً «العيش في أماكن غير آمنة»، وهو ما صرَّحت عنه الفتيات من خلال التعبير عن شعورهنّ بعدم الأمان في أماكن النزوح، وبشكلٍ عامٍّ بسبب تتالي الحروب على غزّة، وحتّى عيشهنّ في مناطق حدوديّة تتخلّلها تصعيدات عسكريّة غير الحروب الكبرى ويضطررْنَ للنزوح في أثنائها مع عائلاتهنّ. كما أنّ «المشكلات الصحيّة» قد تكون عاملًا إضافيّاً لهشاشة هؤلاء المُراهقات، وعلى الرّغم من أنّه لم تبلِّغ أيٌّ منهنّ خلال حلقات النقاش عن أيّ مشكلات جسديّة، ولكن في أثناء التحدّث عن الصحَّة النفسيّة أظهرت المُراهقات أنّ عامل الهشاشة مُرتبطٌ بشكلٍ كبير بالقدرة عن التعبير على المَشاعر.

وقد وجدنا أنّ عوامل الهشاشة هذه مرتبطة ببعض العوامل أو التعقيدات الثقافيّة[35]:

(35) Randall Kropp, Henrik Belfrage, and Stephen Hart. *Patriarch,* V2 (Sweden). March 2021.

1 ـ Masculine[36] أو الذكوريّة وترتبط بسلطة الذكور وسيطرتهم على القرار، خصوصاً في ما يتعلّق بما هو ممنوع أو مسموح للمراهقات في أثناء فترة النزوح.

2 ـ Hierarchical أي الهرميّة أو تقبُّل عدم المساواة بين الجنسيّن الذكور والإناث، وهو ما أظهرته المُراهقات من خلال مَيلهنّ لتقبل الفوارق الجندريّة في أثناء النزوح.

3 ـ Traditional وهنا العامل التقليديّ يدعو إلى تمجيد الماضي على حساب التأقلُم والتكيُّف، هذا العامل كانت له خصوصيّته مع المُراهقات اللّواتي استطعْنَ أن يبنيْنَ مرونةً نفسيّة وقدرةً على التكيُّف والتأقلُم، وتحدّي بعض الأفكار التقليديّة المرتبطة بتمجيد الانتصارات السابقة فحسب، من دون النظر إلى تأثيراتها النفسيّة فيهنّ.

4 ـ Collective العامل الجماعيّ هنا يرتبط بتقديم حاجات المجموعة على حاجات الفرد نفسه. وقد عبَّرت الفتيات أنَّهنَّ كنَّ بحاجة إلى ملاحظة فردانيَّتهنّ أكثر خلال فترة النزوح، وخصوصاً أنّهنّ يَعبُرنَ إلى مرحلة المُراهَقة. بعض الفتيات بلّغنَ أنَ أمهاتهنّ كنّ حريصات على تفهّمهنّ في أثناء فترة النزوح أكثر من باقي أفراد العائلة.

5 ـ Restrained التقييد أي تقديم السيطرة على حاجات الشخص الأساسيّة ورغباته، فعلى سبيل المثال كانت الفتيات بحاجة إلى استنشاق الهواء أو الصراخ عند الخوف أو البكاء أو الضحك، فكانت تُطغى السيطرة الذكوريَّة على هذه الحاجات الأساسيّة، وهنا لسنا بمعرض تقييم أداء الأهل في أثناء فترة النزوح، أكثر من تفكيك كيف أنّ العامل الثقافيّ والمعايير المُجتمعيّة تنسج نظامًا من الهشاشة حول المُراهقات.

(36) هذه اللّائحة هي من دليل تقييم آخر لمخاطر العنف الأسري بعنوان «**البطريرك**» وهي النسخة الثانية المنقّحة من هذا الدليل المذكور أعلاه. اللّائحة الأصليّة تضمّ ستّة أبعاد ثقافيّة قد تؤثّر على العنف ضدّ المرأة، استُخدم في الخلاصات خمسة منها.

ملحق

حلقة النقاش المركَّز الأولى بتاريخ: 2021/07/31

تمّ استخدام الاسم الحقيقيّ الأوّل في البحث	العمر	مكان النزوح
ندى	16	مَدارِس
عبير	12	مَدارِس
سارة	13	مَدارِس
منى	14	مَدارِس
لمى	15	عائلات مُستضيفة
ألين	13	عائلات مُستضيفة
مريم	17	عائلات مُستضيفة
سماح	16	عائلات مُستضيفة
إيمان	14	شقّة
شيماء	14	شقّة
بتول	15	شقّة
سناء	12	شقّة
أسيل	13	شقّة

حلقة النقاش المركَّز الثانية بتاريخ:2021/7/31

تمّ استخدامُ الاسم الحقيقيّ الأوّل في البحث	العمر	مكان النزوح
فرح	12	مَدارِس
شذا	15	عائلات مُستضيفة
أماني	14	عائلات مُستضيفة
نور	12	شقّة
نغم	15	شقّة

حلقة النقاش المركّز الثالثة بتاريخ: 2021/8/5

تمّ استخدامُ الاسم الحقيقيّ الأوّل في البحث	العمر	مكان النزوح
هبة	17	مَدارِس
لجين	15	مَدارِس
ناهد	17	عائلات مُستضيفة
سمر	17	عائلات مُستضيفة
هدى	13	شقّة